رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (زين العابدين) عليهما السلام

*** نبذه عن حياتهِ الشريفة عليه السلام :**

وهو رابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، يلقب بزين العابدين وسيد الساجدين وذي الثفنات والسجاد والزكي و ويكّنى بأبي الحسن ، ولد (عليه السلام) في المدينة المنورة يوم الجمعة الخامس من شعبان سنة 38 هـ ، عاش مع جده أمير المؤمنين (عليه السلام) سنتين، ومع عمه الحسن (عليهما السلام) اثنتي عشرة سنة، ومع والده الحسين (عليه السلام) اثنتين وعشرين سنة.

تولى الإمامة يوم العاشر من محرم بعد شهادة والده سيد الشهداء (عليه السلام)، واستمرت إمامته ما يقارب أربعًا وثلاثين سنة إلى أن إستشهد سلام الله عليه عن عمر ناهز السبع والخمسين سنة في الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين للهجرة ، بواسطة سمٍّ دسَّ إليه (عليه السلام) في طعامه بأمر الوليد بن عبد الملك، ودفن في بقيع الغرقد في المدينة المنورة بجانب عمه الحسن المجتبى (عليه السلام).

*** أهمية رسالة الحقوق :**

تشتمل رسالة الحقوق على خمسين حقًا، منها ما يهتم بتربية الإنسان على الأسس الصحيحة التي تحكم علاقات الإنسان بربه سبحانه وتعالى ثم بإخوانه المؤمنين ثم بنظرائه من سائر البشر ثم بسائر من يحيط به مما لا بد من التعامل معه.

ومنها ما يهتم ببناء الإنسان من الداخل ويساعده على بناء ذاته ويعطيه شحنة عقائدية وإيمانية ليسير في الخط الصحيح ويرقى إلى درجات السمو الروحي والارتباط بالله عز وجل، وقد اهتمّت رسالة الحقوق بالسلوكيات الشخصية وضبط الجوارح من اللسان والسمع والبصر واليد والرجل وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، بالإضافة إلى تأكيدها على الالتزام بالأحكام الإلهية في مختلف المجالات، فيمكن اعتبارها بحق أنموذجًا رائدًا لكل وثائق وإعلانات حقوق البشر في العالم مع أنها جاءت قبلها بقرون متمادية، فإنه (عليه السلام) وضع مواد قانونية يمكن اعتبارها من أهم ما كتب حول الحقوق بل أول إعلان إسلامي بل عالمي لحقوق الإنسان، تنطلق بالإنسان نحو عالم أفضل وأكمل لأنها تعمل على تغيير المحتوى الروحي للإنسان، فإنها رسالة توجّهت إلى النفس الإنسانية وعالجت أدقّ التفاصيل التي ترتبط بسريرة الفرد وعلاقته بربه ومجتمعه وكل من حوله، وهي تُعنى بسلامة المجتمع النفسية والروحية، وتُصلِح الأمة روحيًا وفكريًا وثقافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وإداريًا، ففيها الحقوق التي ترتبط بأمر الحكم والدولة مثل حقّ السلطان والرعية وكيف يُتعامل معهما حتى تقوم الدول وتنهض، وحقوق أهل الملّة عامة وأهل الذمّة خاصة، والحقوق المالية وغيرها مما يرتبط بتنظيم الحياة الاجتماعية، وكل ما يرتبط بحياة عزيزة وكريمة للأمة بأسرها.فهذه

الدرّة الثمينة دستور عام يتضمن كل ما تحتاجه البشرية من حقوق، فلم يترك (عليه السلام) حقًا من حقوق الله على عباده، أو حقوق العباد مع أنفسهم أو حقوق العباد بعضهم على بعض إلا ذكره ونبّه عليه، وقد قدّم الأهم فالأهم، وقد بدأها (عليه السلام) بإجمال كالفهرس، ثم فصّلها حقًا حقًا.

*** ظروف الرسالة:**

الظرف الذي عاشه الإمام السجاد (عليه السلام) من أخطر المراحل التي مرت على آل البيت (عليهم السلام) حيث عاش فاجعة الطفّ ومأساة كربلاء بكل شجونها، والسبي وما أعقب واقعة الطفّ، حيث تجرأ بنو أمية واعتدوا على حجة الله على خلقه، واستباحوا الدم الطاهر وقتلوا أفضل الخلق على وجه الأرض في زمانه سيد شهداء أهل الجنة، وسبط نبيهم محمد (صلى الله عليه وآله)، وانتهكوا حرمة الإسلام، وحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسبوا عقائل الوحي وأهل بيت النبوة، وانتهكوا كل القوانين والنواميس، وحرمة الشرفاء والمقدسات، وضاعت قيم الدين والأخلاق من أنفس الناس، وماتت الضمائر، فطغى بنو أمية وتجبروا وتغطرسوا، وسادت شريعة الغاب، فارتكبوا الموبقات من دون أي رادع يردعهم، وأغرقوا المجتمع بالموبقات، وأشاعوا الفحشاء، وجاهروا بالشراب، وشجعوا على الغناء الخليع، وأقاموا الحفلات المختلطة والماجنة حتى في أقدس بقاع الأرض، مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) التي كانت تعتبر مركز الثقل للعالم الإسلامي، ونشروا الجهل والفجور لان مصلحتهم كانت تقتضي سياسة التجهيل والتضليل والظلم والترغيب والترهيب، وانتهاك الحقوق ونشر الفساد ليسيطروا على المجتمعات والأمّة، ولم يكن هناك نظام وقانون يخضعون له، بل كان القانون يخضع لمشيئتهم ورغباتهم ، حتى أن معاوية كتب إلى عماله في جميع البلدان (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة) وفي كتابًا آخر أمر بقتل متبعي أهل البيت عليهم السلام ، فنشأ الناس على ذلك ومضى على ذلك قضاتهم وولاتهم وفقهاؤهم. وكان أعظم الناس في ذلك بلاء وفتنه القراء المراؤون المتصنعون، الذين يظهرون لهم الحزن والخشوع والنسك، ويختلقون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويتقربوا إليهم ويصيبوا بذلك الأموال والجوائز. حتى صارت أحاديثهم تلك ورواياتهم في أيدي من يحسب أنها حق وأنها صدق، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها وأحبوا عليها وأبغضوا... فصار الحق في ذلك الزمان باطلا والباطل حقًا، والصدق كذبًا والكذب صدقًا)0

وازداد الأمر سوءًا في زمن ولده يزيد "لعنه الله" الذي جاهر بارتكاب الموبقات والرذائل والفجور وشرب الخمور... فلم يكتفِ بما اقترف في واقعة كربلاء من الحرمات وسبي ذراري وعقائل الوحي، بل اعتدى أزلامه وأعوانه على مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد واقعة كربلاء، وأباحها لجنده لمدة ثلاثة أيام، فقتل أكثر من عشرة آلاف من أهلها بالإضافة

إلى سبعماية من وجوه المهاجرين والأنصار وحفظة القرآن، واعتدوا على النساء حتى افتضت أكثر من ألف بكر، ونهبت مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولم يكتف بذلك بل أخذت البيعة من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد يفعل بهم وبأموالهم وبذراريهم ما يشاء، ومن أبى منهم ضربت عنقه ، وكل ذلك كان يعايشه الإمام السجاد (عليه السلام) كما عايش (عليه السلام) بعد يزيد معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ، وغيرهم من حكام الجور والظلم، نعم عاش الإمام (عليه السلام) وسط هذا المجتمع المريض وفي ظل هذه الظروف القاسية والتي لا تحتمل والتي لا يمكن التغاضي عنها، فقام (عليه السلام) برد الناس إلى الإسلام وإلى تعاليمه السامية وقوانينه السمحاء التي تقتضيها الفطرة الإنسانية والوجدان ، فبيّن لهم ما عليهم من حقوق ضمن رسالته الإنسانية الخالدة لتكون منارا للبشرية وللمجتمعات بأسرها، والتي تضمنت الحقوق الثابتة لكل إنسان مهما كان عرقه وعنصره ولونه وجنسه ولغته .

*** الهدف السياسي والاجتماعي لرسالة الحقوق:**

كانت سياسة بني أمية تعمل على القضاء على الإسلام وتشويهه كما عرفنا سابقاً من خلال الظرف الذي عاشه الإمام (عليه السلام)، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه، ولم يراعوا أية حرمة، وعطلوا القوانين والسنن وغيّروا كل شيء حتى الصلاة، ولم يبقَ لديهم مما كان في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا استقبال القبلة، كما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا والله ما هم على شيء مما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا استقبال الكعبة فقط)0

فإبتعد الناس عن الدين واختلط الأمر عليهم بسبب محدثي السلاطين، فاحتاجوا إلى من يعرفهم على الإسلام والدين الصحيح، وبيان واجباتهم وما عليهم من حقوق اتجاه خالقهم واتجاه بعضهم البعض، فلذا كان لابد لحجة الله على خلقه الإمام زين العابدين ومن عنده علم الكتاب، ومن أولى منه بذلك، من تذكير الناس بأيام الله وردهم إلى منابع العز والشرف ومعدن العلم والحكمة، ومن مداواة هذه النفوس ليخلصها من أمراضها ويعرفها حدودها ويهديها إلى الحياة الحرّة الكريمة، وتربية النفوس على هذه الحقوق الإلهية وتطبيقها عمليا ليصبح المجتمع مجتمعًا رساليًا يتعامل بتعاليم الإسلام ويتأسى بخلق النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، ويعطي كل ذي حق حقه، لأن الناس إذا تلقّوا تلك المعارف وعملوا بتلك الحقوق وطبقوها واتبعوا الله وحججه على عباده، ونبذوا سلاطين الجور وأهل البدع والفجور، ساد في المجتمع المحبة والوئام والسلام والمؤاخاة والقانون والنظام .

فقام (عليه السلام) بتأسيس مدرسته الفكرية، وقاد مشروع الإصلاح والتصحيح استكمالاً لنهضة والده سيد الشهداء (عليهما السلام) التي أحيت دين جده وكشفت زيغ وفجور بني أمية وأهدافهم الشريرة للقضاء على الدين، وهيّأت الناس للعودة إلى الدين الحنيف، فتصدّى سلام الله عليه لنشر العلم

والمعارف على عدة محاور، فتارة من خلال دروسه التي كان يلقيها في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله)، وأخرى عبر أدعيته المفعمة بالدروس والحكمة والمعرفة، وثالثة بواسطة رسالته العظيمة التي تعتبر بحق دستوراً في السياسة، ومنهاجاً عاماً في الأخلاق الاجتماعية، فاق كل دساتير البشر وقوانينهم، وعرفهم بما عليهم من حقوق ترتكز إلى أصول التربية والأخلاق ونظم

المجتمع، ويفتقر إليها البشر في علاقاتهم في شتى المجالات وعلى جميع الأصعدة، وقد ذكر الإمام (عليه السلام) حتى حق السلطان وحق الرعية وحق أهل الملة عامة وحق أهل الذمة وغيرها مما يرتبط بأمور الدولة والحكم وتنظيم الحياة الاجتماعية، وقد عبر (عليه السلام) بالسلطان لان سلطته ليست بولاية إلهية بل بالغلبة والقهر، وقد بين الإمام حقه كمتسلّط على الرعية وأن عليه واجبات اتجاه رعيته فعليه أن يتذكر نعم الله وحوله وقوته الذي لا حول ولا قوة إلا به، وأن لا يظلم العباد، كما أن على الرعية أن تعرف حدود التعامل مع السلطان ولا يسوغ لها تجاوزها رعاية للمصالح العامة ولإنجاح مهمته في حفظ البلاد، وعليها أن تحذر بطشه وسطوته فلا تعاديه حتى لا يلجأ إلى العدوان والبطش إذا لم يهدد كيان الإسلام وشعائره.

* أهم الحقوق التي ذكرها الإمام (ع) في رسالتهِ :

أولاً / حق المعلّم :

لقد درج الناس في المجتمعات المختلفة عبر التاريخ على توقير المعلّم واحترامه، فكانت له منزلة خاصّة في وسطه ومحيطه ، وذلك لما لا يخفى من الحظّ العظيم الذي يتمتع به العلم، والمنزلة السامية التي دفع إليها حاملها ، ولمّا كان العلم بالاكتساب وسيلة فضلى في تحصيل العلوم، فإنّ المتعلّم يجب عليه أن يتعرّف على جملة من الآداب في علاقته مع معلّمه بشكل خاص، وقد تحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن جملة من حقوق المعلم ، فقال عليه السلام "وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه؛ وألاّ ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذُكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً. فإذا فعلت ذلك، شهدت لك ملائكة الله جلّ وعزّ بأنك قصدته، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس " 0

ولو تأملنا في قول الإمام عليه السلام تظهر لنا عدة محافل في حقوق المعلم منها :

*** في المحفل الذي يحضر فيه : إذ يجب على المتعلم التوقير لمجلسه، ويكون ذلك من خلال:**

أ- "حسن الاستماع إليه والإقبال عليه " بأن يصغي المتعلّم في مجلسه إلى معلّمه جيداً، لا أن يتشاغل بالأمور التي تنافي ذلك 0

ب- "أن لا ترفع عليه صوتك" وذلك عندما تكون في إطار المحاورة والمناقشة معه.

جـ - "ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب" إذ كثيراً ما يقع المتعلّمون، أو المجالسون عموماً، في مثل هذه الآفة، حيث يظنّ أنه يعرف الجواب في المسألة، فنراه يبادر إلى الإجابة من دون أن يكون الكلام موجّهاً إليه.

د- "ولا تحدّث في مجلسه أحداً" بحيث تبدو غير آبه لمحضره، وقد قيل في ذلك من بعض العلماء "أن لا يتكلّم بغير ضرورة".

*** في المحفل الذي لا يكون حاضراً فيه:أي التعظيم له في غيبته من خلال :**

أ- "أن تدفع عنه إذا ذُكر عندك بسوء". وهذا من الحقوق البديهية للإخوة، فضلاً عن المعلّمين، وذلك بأن يردّ عنه التهم والافتراءات التي قد تُكال من قبل مغرضين بحقّ المعلّم.

ب- "أن تستر عيوبه" فإنّ كثرة المجالسة والمخالطة، مع الاستماع والتلقّي، واحتدام المحاورات، قد يظهر مع ذلك شيء من قلّة الصبر لدى المعلّم، أو التعجّل في إطلاق الأحكام، أو بعض الخصال التي لا تروق للمتعلّم، أو بعض التصرّفات التي لا تليق بمنزلة المعلّم، فإنّ ذلك من الأمور التي يجب سترها على المعلّم، وعدم القيام بإفشائها، أو مساعدة الآخرين على الكلام فيها.

جـ- أن "تظهر مناقبه" من حسن الخصال، والمحامد الشخصية، والمآثر العلميّة، ووفرة الآداب التي قد يتحلّى بها المعلّم.

د- أن "لا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً".

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، في خاتمة حق المعلِّم: "فإذا فعلت ذلك، شهدت لك ملائكة الله، جلَّ وعزَّ، بأنك قصدته، وتعلّمت علمه لله، جلّ اسمه، لا للناس". ويتضح من خلال هذهِ الخاتمة ، أن مايقوم بهِ المتعلم تجاه معلمه ، يكون قربة للهِ تعالى يثاب عليه 0

ثانيا"/ حق الوالدين :

قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) هذه الآية الكريمة تعطي دورساً بالغة ووصايا إلى الجيل الجديد، وتدعوه للالتفات إلى الوراء قليلاً، ليذكر فضل من تكفلت فطرتهم برعايته والاهتمام به، إن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعمارهما، ومن كل ما يملكان دون بخل بما يبذلان، لأن قلوبهما مجبولة على حب الأبناء ورعاية زينة الحياة الدنيا، ومن

هنا كانت الوصية للأبناء برعاية الوالدين وحفظ حقوقهما، وحق الوالدين يتمثل بحق الأم، وحق الأب.

أ- حق الأم: إن وصايا الكتب السماوية، والأحاديث والروايات المتواترة جميعاً تصور تلك التضحية النبيلة الواهبة التي تتقدم بها الأم، تلك البذرة التي تغدو قشراً خالياً لتنمو منها النبتة الخضراء وتكبر، ولا يجازيها أبداً إحسان من الولد مهما أحسن في القيام بأداء حقها. قال الإمام زين العابدين (ع): (فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض ، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمى، وتظلك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاء وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك، ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه).

بهذه العبارات المضيئة والتعابير الدقيقة، يستثير الإمام زين العابدين(ع) الضمير والرحمة في قلب الإنسان تجاه من (حملته كرهاً ووضعته كرهاً) ، وتذكره بالمشاق العظيمة التي تحملتها الأم في سبيل فلذة كبدها، لذلك قال الرسول الأعظم(ص): (حق الوالد أن تطيعه ما عاش، وأما حق الوالدة فهيهات هيهات.. لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها) ، لأن الأم بطبيعة الحال، تتحمل النصيب الأوفر من العناية والرعاية لولدها لما تجود به من حنان وعطف بلا حدود، فنتيجة لتلك التضحيات اللامتناهية كان للأم حقها العظيم على الأبناء، وبخاصة إذا كانت طيبة ومؤمنة، لتأثيرها البالغ في جنينها، فتجعل منه إنساناً سوياً ومستقيماً، وحتى أثناء الرضاع تسري أخلاق الأم إليه، قال تبارك وتعالى: (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) ، ومهما قلنا ومهما نقدم من توصيات في حقوق الأم، تتضاءل العبارات، وتعجز الكلمات أمام الواجب تجاه صانعة الأجيال على مر العصور.

ب- حق الأب: ليس في الكون عند الآباء أغلى وأثمن من بر أولادهم بهم، على الرغم من كونه وفاء لبعض ما لهم من ديون، وسعادتهم بأداء الحق إليهم، كسعادة العالم باكتشاف اختراع ضخم. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): (إن للولد على الوالد حقاً؛ وإن للوالد على الولد حقاً؛ فحق الوالد على

الولد أن يطيعه في كل شيء إلاّ في معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن) ، وقال الإمام السجاد (ع): (وحق أبيك أن تعلم أنه أصلك وأنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلاّ بالله).

إن الأوامر في الاسم والحقوق إنما تنبثق من نبع واحد وترتكز على ركيزة واحدة، ألا وهي نبع العقيدة في الخالق عز وجل، ومن تلك العقيدة الراسخة تنبع كل التصوّرات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية التي تقوم عليها التشريعات الاجتماعية والقانونية، وهذه السمة تتضح في منهج آية الإحسان (وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً) .

إن دور الأب لا يمكن إلغاؤه، لإسهامه في مجال صياغة الابن، وبالذات إذا كان الأب عملاقاً في الصفات الطيبة، وقوياً في شخصيته، فإذا تجذرت في الأب الخصال النبيلة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانه، فالنتيجة تكون انتقال هذه الصفات إلى الأبناء بقوة. حتى تقضي تماماً على نقاط الضعف الموجودة فيهم. ومن هنا حتى لو كانت الأم على قدر من الذكاء والفطنة وكرم الأخلاق فإنها لا تستطيع إحياء نقاط القوة التي أماتها الأب، إلاّ إذا كانت تتمتع بخصال وراثية متميزة، ومتزينة بالشخصية القوية والفذة.

وبذلك كان أداء حق الوالد جزءاً بسيطاً من رد الجميل، وفي هذا قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) لبعض بنيه: (يا بني إن الله رضيني لك ولم يرضك لي فأوصاك بي ولم يوصني بك، عليك بالبر فإنه تحفة كبيرة) 0

إن الولد بضعة من أبيه؛ يرث أخلاقه كما يرث صفاته الجسدية والعقلية، إضافة إلى إحاطته بشعور العزة والحماية والصيانة له من والده، والذود عنه. وفوق ذلك كله، يشرف الابن بشرف أبيه، وما إلى ذلك من نعم الوالد التي لا يعين على أداء حقها إلاّ الخالق، ومن الذي يقرأ دعاء الإمام السجاد (ع) ولا يهتز من أعماقه انتباهاً لحق والديه حيث يقول: (اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتى أؤثر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقل برّي بهما وإن كثر) 0

ثالثاً" / حق الأخ:

قال عليه السلام (وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحاً على معصيته، ولا عدة للظلم بحق الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه، والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن انقاد لربه وأحسن الإجابة له، وإلا فليكن الله آثر عندك، وأكرم عليك منه..).

الإسلام كدين إنساني اجتماعي جاء ليشد أواصر القربى ويقوي العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، فشرع قانون الأخوة الإسلامية، الأخوة في الله، فمهما تباعدت البلاد ونأت الديار نجد المسلم العربي يفرح للقاء أخيه من بلد مسلم آخر. وذلك تحت ظلال الأخوة الإسلامية (وإنما المؤمنون إخوة).

هذه الأخوة تتوثق أكثر إذا انضمت إليها أخوة النسب فإنهما تتآلفان وتتساندان في طريق الحق والإيمان، لكن أخوة النسب لا يقيم لها الإسلام وزناً إذا لم تكن ضمن الخط الإسلامي وفي طريق تقوى الله.

والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يلقيننا درساً من دروس الإسلام في التربية الاجتماعية فبلغت أنظارنا أن الأخ يد لأخيه وعز ومنعة وقوة له، هو سنده في الملمات **وشريكه في السراء والضراء وله من الحقوق مايلي:**

1 - أن لا يتخذه سلاحاً على المعاصي (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ولا يستعين به على ظلم الناس والاعتداء عليهم بغير حق.

2 - أن يرشده إلى سبل الخير ويهديه إلى طريق الرشاد.

3 - أن يعينه على (الوسواس الخناس) ويحذره منه، ويخوفه من عقاب الله تعالى، يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا ما أتى الله بقلب سليم.

4 - أن ينصحه في أمور آخرته ودنياه، فإن أطاعه وانقاد للحق فذاك، وإلا فليعرض عنه، ولا يتصل به لأنه عصى الله وليكن سبحانه وتعالى أكرم عليك منه وآثر لديك.

رابعاً / حق الرعية:

قال عليه السلام في هذا الباب من الحقوق :(فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم، فإنه إنما أحلهم محل الرعية لك ضعفهم، وذلهم، فما أولى من كفافه ضعفه وذله حتى صيره رعية، وصير حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة، ولا يستنصر في ما تعاظمه منك إلا بالله، بالرحمة والحياطة والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله

من فضله هذه العزة والقوة التي قهرت بها، أن تكون لله شاكراً، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوة إلا بالله..)

نظر الإمام (عليه السّلام) إلى الحكومات القائمة في عصره فرأي الطواغيت والفراعنة وأنصاف الآلهة الذين توصلوا إلى كرسي الحكم بالقوة والقهر فقتلوا ونهبوا وأجرموا دون وازع من دين أو رادع من ضمير، لقد تجردوا من إنسانيتهم ولبسوا ثياب الذئاب الكاسرة وحكموا على أشلاء الناس وجماجم البشر فكان فرعون وهامان ويزيد وابن زياد والوليد والحجاج...واليوم في عالمنا المعاصر يوجد أمثالهم ممن يسومون الناس بالذل والهوان ويحاسبونهم على التهمة والظن كل ذلك في سبيل الحفاظ على عروشهم ومصالحهم.

هؤلاء الطواغيت يدّعون الحكم باسم الإسلام، والإسلام منهم بريء كل البراءة، إنهم عبء على الإسلام والمسلمين، تولوا عروشهم الدنيئة بمعونة أسيادهم المستعمرين، والإسلام لا يعترف بشرعية حكمهم ولا يسمح للشعب أن يتقيد بما يأمرون وينهون.

على الحاكم في الإسلام أن يكون كالأب الرحيم على رعيته يرعاهم ويتفقد شؤونهم ويعيش آمالهم وآلامهم، والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يوصي الحكام برعاية الشعوب والرحمة بها، والحياطة لشؤونها، والأناة في التصرف في أحوالها، وقد وضعهم وجهاً لوجه أمام الله كي يقوموا بأداء شكر هذه النعمة التي استطاعوا من خلالها أن ينفذوا حكم الله وإرادته ويجعلوا كلمته هي العليا.

خامساً / حق الجليس:

قال عليه السلام (وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك وتطيب له جانبك وتنصفه في مجاراة اللفظ ولا تفرقه في نزع اللحظ إذ لحظت وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا نطقت، وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلا بإذنه ولا قوة إلا بالله).

راعى الإسلام جميع الآداب الاجتماعية ومنها أدب المجالس فمن أدب الجالسين أن يفسحوا للقادم إليهم مهما كان ضيق المكان ليشعروه بالتقدير والاحترام عملاً بقول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم..)

ومن أدب الداخل إلى المجلس أن يجلس حيث يجد فراغاً ملائماً طبقاً لقول الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (إجلس حيث انتهى بك المجلس) ومن أدب الجالسين بعضهم مع بعض أن يشعروا أنفسهم باحترام بعضهم البعض فلا يتكلم أحدهم بخشن الكلام أو وهو غير ملتفت إلى مخاطبه أو بعبارات

نابيـــة. لأن المجـــالس فـــي الإســـلام لهـــا آدابهـــا واحترامهـــا، **والإمـــام زيـــن العابدين(عليه السلام) يتحفنا من هذه الآداب بما يلي:**

1 - أن يلـين الجلـيس جانبـه لجليسـه ولا يـتلفظ بكـلام فيـه غلظـة وشـدة تنفـر منهـا الطباع.

2 - أن يطيب له جانبه وذلك بتقديره وتكريمه.

3 - أن ينصفه إذا خاض معه الحديث ولا يظهر الاستعلاء عليه.

4 - أن لا يبالغ كثيراً في أمره.

5 - أن يقتصد بإفهامه عندما يوجه إليه الكلام.

6 - إذا جـاء قبلـه فعليـه الاسـتئذان منـه إذا أراد القيـام وإذا جـاء بعـده فهـو بالخيـار فـي المقـام. قـال الإمـام (عليـه السّـلام): (وإن كنـت الجلـيس إليـه كنـت فـي القيـام عنه بالخيار وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلا بإذنه).

ســـادسا" / حـــق الـــجـــار :

اهـتم الإسـلام بالجـار اهتمامـاً بالغـاً وجعـل لـه حقوقـاً كثيـرة تنطلـق مـن حـب التعـاون بـين الإنسـان وأخيـه الإنسـان ، والله تعـالى أوصـى بالإحسـان إلـى الجـار قـال تعـالى: (واعبـدوا الله ولا تشـركوا بـه شـيئاً وبالوالـدين إحسـاناً وبـذي القربـى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب)0

وقـد تضـافرت الأخبـار عـن النبـي و أئمـة الهـدى (عليـه السّـلام) بالوصـاية والعنايـة فـي أمـور الجـار وذلـك لإيجـاد التضـامن الاجتمـاعي بـين المسـلمين ، ولـم تقتصـر وصـاياهم بالجـار المسـلم ، بـل كانـت تلـك الوصـايا تشـمل الجـار الكـافر ، قـال رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم): (الجيـران ثلاثـة: جـار لـه ثلاثـة حقـوق وجـار لـه حقـان وجـار لـه حـق واحـد) ، فأمـا الجـار الـذي لـه ثلاثـة حقـوق فالجـار المسـلم القريـب لـه حـق الجـوار، وحـق القرابـة وحـق الإسـلام ، والجـار الـذي لـه حقـان فهـو الجـار المسـلم فلـه حـق الإسـلام وحـق الجـوار ، والجـار الـذي له حق واحد، الكافر له حق الجوار.

وقـال الإمـام أميـر المـؤمنين (عليـه السّـلام): (وأوصـانا رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم) بالجـار حتـى ظننـا أنـه سـيورثه) ، ولـم تخلـو رسـالة الحقـوق مـن هـذا الحـق العظـيم ، فقـال عليـه السـلام (وأمـا حـق الجـار فحفظـه غائبـاً، وكرامتـه شـاهداً، ونصـرته ومعونتـه فـي الحـالين جميعـاً، لا تتبـع لـه عـورة، ولا تبحـث لـه عـن سـوءة لتعرفهـا، فـإن عرفتهـا منـه عـن غيـر إرادة منـك ولا تكلـف، كنـت لمـا علمـت حصـناً حصـيناً، وسـتراً سـتيراً، لـو بحثـت الألسـنة عنـه لـم تتصـل

إليه لانطوائه عليك، لا تستمع إليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة. تقيل عثرته وتغفر زلته، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له، ترد عنه الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله..).

ومن خلال هذا النص يتضح أن للجار حقوق أجملها الإمام عليه السلام بالنقاط التالية :

1 - أن يحفظ الجار جاره في حال غيابه، فلا يستغل غيابه للنيل منه والاعتداء على كرامته.

2 - أن يكرمه في حال حضوره وينصره ويعينه في حال غيابه.

3 - أن لا يتتبع أي عورة أو منتقصة له ولا يبحث له عن سوءة وعليه أن يحفظ له حريمه وعيوبه وإن عرف بشيء من ذلك ستره ضمن أسراره.

4 - أن لا يستمع لحديثه اختياراً بدون علمه ولا يجوز له أن يسترق السمع ليأخذ منه ما لا يرضى، لأن الإسلام يريد من الجار أن يمتنع عن كل ما يعكر صفو الود والوفاق ويلتقي المسلم مع المسلم بقلب طاهر ووجه باسم دون أن يكون هناك أي حذر يسيء الظن. لأن ذلك يفرق بين الناس والإسلام يدعو إلى الإلفة والتضامن ورص الصفوف.

5 - ومن حق الجار أن لا يسلم جاره عندما تنزل به شدة أو تلم به مصيبة بل عليه أن يعينه بنفسه وماله وما ملكت يداه وإذا حصلت له نعمة فليفرح معه ولا يحسده عليها.

6 - الحلم عنه إذا بدرت منه بادرة سوء، وعدم مقابلته بالمثل.

7 - صد من يشتمه أو يذكره بسوء.

8 - يعيش معه بترفع وإباء فيصفح عنه إذا زل أو أخطأ ويحلم عليه حتى يرجع إلى رشده، ولا يصدق أية وشاية أو كلمة سوء ممن يريد أن يلقي بينهما العداوة والبغضاء.

سابعا" : حق الكبير:

قال عليه السلام (وأما حق الكبير فإن حقه توقير سنه، وإجلال إسلامه. إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقديمه فيه، وترك مقابلته عند الخصام ولا

تسبقه إلى طريق، ولا تؤمه في طريق ولا تستجهله، وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحق إسلامه مع سنه، فإنما هي حق السن بقدر الإسلام، ولا قوة إلا بالله..).

لقد سن الإسلام آداباً اجتماعية رائعة لا تقاس ولا من أي وجه بالآداب التي أفرزتها الحضارة المادية. وذلك من أجل بناء مجتمع أصيل تسود فيه المحبة والاحترام والتقدير فاحترام الشيخ الكبير واجب احترامه إذا كان من أهل الفضل والسابقة في الإسلام. أما مظاهر تكريمه فقد عرضها علينا الإمام (عليه السّلام) وهي:

1 - ترك مقابلته عند الخصام وفي المسائل التي توجب الجدل.

2 - إذا سار معه في طريق فلا يسبقه أو يتقدم عليه.

3 - إذا خفي على الشيخ بعض المسائل فلا يظهر جهله فيها.

4 - وإذا اعتدى عليه الشيخ فليتحمله ويكرمه من أجل إسلامه وكبر سنه.

هذه الآداب التي دعا إليها الإسلام ونفذها أئمة الهدى (عليهم السّلام) توطد العلاقات الاجتماعية بين الناس وتصفي قلوبهم وتطهر نفوسهم، إنها آداب إنسانية يمدح فاعلها في الدنيا ويؤجر ويثاب في الآخرة.

ثامنا"/ حق الصغير:

الطفولة صورة ملائكية في الطهارة والبراءة وقد تظهر في عينيه الصافيتين وفي حركاته العفوية وفي جوارحه الناصعة ، وفي كلماته البيضاء والطفل كالعجين بين يدي مربيه يستطيعان صياغته رجلا" صالحا" عظيما" وبعيدا" عن كل سوء وغش رجلا" عقائديا" يؤثر الحق ويدافع عنه في كل آن.

أما إذا أهمل الوالدان تربية ولدهما فسوف تسود الصفحة البيضاء وتتحول القوة الايجابية الى قوة سلبية تخرب وتهدم وتعتدي على الآخرين بغير حق.

قال سيد البلغاء والحكماء أمير المؤمنين في وصيته لولده الحسن (عليهما السلام): (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء إلا قبلته).

وركائز هذا الحق هي:-

1- رحمة الصغير والعطف عليه وعدم استعمال الشدة والقسوة لانهما يخلقان فيه العقدة النفسية ويوجبان انحرافه عن الخط السليم.

2-تعليمه وتثقيفه وفتح آفاق المعرفة أمام عينيه.

3-الرفق به وإعانته في كل ما يحتاج إليه.

4-الستر على جـرائر حداثته وعـــــــدم نشرها .
5- مـداراته وترك مخاصمته لأن ذلك أفضل لـرشده.

تاسعـــا"/ حـــق الشريك:

أبـــــاح الإسـلام الشـركة فـي العقـود وعمـل بهـا المسـلمون وقـدد حـدد الفقهـاء شـــروطها وذكـــروا موانعهـا، واختيـار الشـريك أمـر هـام ذلـك أن العاقـل يعـرف كيـف يختار الشريك الامين التقي ، الورع الذي يخاف الله.

والإمـام زيـن العابـدين (عليـه السـلام) تحـدث عـــن صـفات الشـريك وواجباتـه تجـاه الشـريك الآخر منها:

1-إذا غـاب عليـه أن يكفيـه فـي عملـه وينـوب عنـه فـي أداء حـــقه وإذا حضـر معـه عليـه أن يساويه بنفسه فلا يتميز عنـــه.

2- لا يتخـذ رأيـا" دون رأيـه ولا ينفـذ مـا يريـده دون علمـه، بـل عليـه مـــشاورته وأخـذ رأيـه فيما يقدم عليه من عمل يكون مشتركـــا" بينهما حتى يتحمل مسؤولية كاملة نحو ماله.

3-علـى الشـريك أن ينفـي تهمـة الخيانـة عـن شـريكه فـلا يتهمـه بعـد أن كـان مصـدر ثقتـه ولا يتصرف إلا ضمن موازين الشرع والحـق.

المقارنة بين رسالة الحقوق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

بـالرغم مـن تأكيـد الإعـلان العـالمي علـى الحريـات وحتـى عنـدما نـصّ فـي المـادة التاسـعة والعشـرين علـى (رعايـة المقتضـيات الأخلاقيـة فـي إطـار مجتمـع ديمقراطـــي) أراد بـــالأخلاق حرّيـــات الآخـــرين لا المعـــاني الأخلاقيـــة الرفيعـــة، التـــي تقتضـــيها الفطـــرة والوجـــدان الإنســـاني ومـــا يـــرتبط بإنســـانية الإنســـان لأنهـــم نظـــروا إلـــى الإنســـان وكأنـــه موجـــود مـــادي بـــلا روح ولـــم يراعـــوا كونـــه مخلوقًـــا متميزًا عن غيره من المخلوقات.

الحقوق التي أغفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

فقـد (**أغفـل الإعـلان العـالمي**) الحقـوق التـي يحتاجهـا الإنسـان بطبيعتـه وفطرتـه لكـي تسـاعده علـى تكاملـه واسـتحكام علاقتـه بربـه وخالقـه جـل وعـلا وبأرحامـه وإخوانـه بـل وبسـائر مـا يحـيط بـه، والتـي نصّـت عليهـا الرسـالة كالجانـب العقائـدي، والحقـوق المرتبطـة بـالله تعـالى والحقـوق الاجتماعيـة ذات الصبغة الأخلاقية.

1- **حقـوق الأرحـام مـن الوالـدين والحـثّ علـى برهمـا وشـكرهما لمـا قامـا بـه اتجـاه أولادهـــــم.**

2- **حـق الولد على أهله وتحمل المسؤولية اتجاهه وتربيته.**

3- **مساعدة الأخوة ونصـرتهم وتقديم النصـــــح لهم .**

4- **تـوقير الكـبير وإجـــلاله، وعـــدم التقدم عليه.**

5- **رحمة الصغير والرفق به .وحق الجار وحفظه غائبا وإكرامه حاضرًا ومعاشرته معاشرة كريمة والستر عليه .وإكرام الصاحب ومعاملته بالإنصاف والتفضل.**

6- **تعظيم المعلم وتوقيره واحترام مجلسه والاستماع إليه والإقبال عليه. وتأدية النصيحة للمستنصح ورحمته والرفق به بل إن الإسلام اهتم بالنصيحة حتى اعتبر الدين النصيحة .**

7- **ضبط الجوارح من السمع والبصر واليد والرجل والبطن والفرج والحفاظ عليها وتوجيهها بالاتجاه الصحيح .**

8- **نصت المادة السادسة عشره من الإعلان على أن للرجل والمرأة حق التزوج وتأسيس أسرة، وأنهما متساويان في الحقوق لكنها أغفلت الجوانب المهمة من حقوق الزوجة من إكرامها والرفق بها والتذكير بأن الله تعالى جعلها سكنًا للزوج وأُنسًا له، وأن لها حق النفقة عليه ، إلى غيرها من الحقوق التي لم يعرها الإعلان العالمي أية أهمية .**

الحقوق التي أغفلها الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان.

وحتى **(الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان)** والذي أُقر بعد عدة مؤتمرات للخارجيّة: (فاس، إسلام آباد، بغداد، نيامي ، دكّا، صنعاء، عمان، الرياض، طهران، القاهرة) وثلاثة مؤتمرات للقمّة في (الطائف، الدار البيضاء، الكويت) ومجموعة من جلسات الخبراء، وبعد إحالته على لجنة قانونية إلى أن أعدت الصيغة النهائية في مؤتمر طهران من 28 - 30 / جمادى الأولى / 1410هـ الموافق 26 - 28 كانون الثاني 1989م والتي تمّت الموافقة عليها نهائيّاً في المؤتمر التاسع عشر لوزراء الخارجيّة في القاهرة، ويتألف من خمس وعشرين مادة ، ورغم اهتمامه بالجانب العقائدي والديني والعبودية لله تعالى كما في المادة الأولى وحقوق الأرحام على بعضهم كما في المادة السابعة وحق الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر وفقا لضوابط الشريعة الإسلامية كما في المادة الثانية والعشرين وأن كل الحقوق والحريات المقررة في ذلك الإعلان مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية كما في المادة الرابعة والعشرين الشريعة الإسلامية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أي مادة من مواد الإعلان إلا أنه أهمل الكثير من الحقوق منها:

1- **حقوق الجوارح وحقوق الأفعال والعبادات وكثيرا من الحقوق الأخلاقية والاجتماعية .**

2- **حق المعلم والمتعلم وحق الكبير وحق الصغير وحق الجار والجليس وحق الشريك وحق الغريم وحق المستنصح والناصح وحق المستشير والمشير وحق السائل وحتى حق الخصم وغيرها من الحقوق.**

بينما رسالة الإمام (عليه السلام) -(وإن كان لا يصح مقارنة كلام وقوانين البشر بالقوانين الإلهية الصادرة عن حجة الله على خلقه سيد الساجدين)- والتي صدرت قبل مئات السنين في القرن الأول الهجري بينت كل ما تحتاجه البشرية من حقوق، فلم تترك حقاً من حقوق الله على عباده، أو حقوق العباد بعضهم على بعض ببيان رائع ومنطق لا يقبل الرد وأسلوب جذاب وأفكار صالحة لكل الناس منبثقة عن حاجات المجتمع الإنساني فكانت هذه الرسالة العظيمة والفريدة والوثيقة العالمية تعتبر بحق من عيون التراث الإسلامي، فعلى كل مسلم أن يهتم بها ويدرسها بدقة وعناية لا أن يمر عليها بشكل عابر وأن يسير على نهجها في كل زمان ومكان لينال العزة والكرامة وسعادة الدارين، وينبغي أن تنشر في وسائل الإعلام ليطلع عليها البشر قاطبة لينهلوا من معينها الذي لا ينضب وليعرفوا أن إسلام النبي وآل بيته (عليهم السلام) ليس ديناً ومعتقدًا فقط بل هو دين ودولة ونظام سياسي واجتماعي متكامل.